احسنوا بعدك الخلافة في الدين وكلما تولي اذا اغنيا نزاهة فقرا

احسنوا بعدك اي بعد وفاتك الخلافة عنك في الدين بالقيام
بجميع ما يجب او يحسن مراعاته فيه من الامور الظاهرة والباطنة حيث اجمعوا
على استخلاف ابي بكر رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ثم على استخلافه لعمر ثم
على استخلاف اصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة علي ثم قيل ابنه الحسن ثم
بعد نزول الحسن لمعاوية على ولاية معاوية رضي الله تعالى عنهم وحيث نصبوا
كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعدا ولنشر العلوم الى ان تحملها عنهم التابعون
ثم من بعدهم جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا او وكل منهم بما تولي
في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة او الامارة او القضا او تجهيز
الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان
جميع امورهم انما كانت للدين لا لغير اذا ملكهم العزة لكتاب وبالزاي اي قبر
بما تولاه اهل له في اي بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق
به القرآن ومن ثم تخلف منه منهم هفوة فقد كفرت عنه بحدا وتوبة
اغنيا نزاهة اي من جهة النزاهة والتعفف عن جميع المال وانما
كان من جهة يقطع تحليها لان محل تطوهر انما التجرد المطلق عن ساير
القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اي المال
وانما الغنى غنى النفس اي بالله عما سواه سوا اكان بيدها مال ام لا ومن ثم كان
منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه في
مصارفه الشرعية فهو متقلبه لا للتحرز لا للمباهاة ولا للمحبة جمع ذلك واكثار
العالي ولذلك ان عبد الرحمن بن عوف اعتق في لا تموت الف رقيق وتصدق هو
وعثمان في غزوة تبوك بما يبهر العقل وكان للزبير الف عبد تودي اليه
الخراج وما مات الا وعليه قدر كثير جدا من الديون وكون عن عبد الرحمن

ابن

١٦٨

ابن عوف لمنه ثمانون الف دينار لا ينافي ما تقرر انه انما كان خازنا لله تعالى لان
الخازن ليس معناه انه يخرج جميع ما في يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو
المطلوب منه في كل حال او زمن واما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان
يدخل في يده دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لسد ضرورات المحتاجين او لان
حاله في الامور الخارقة للعادة لا يقيد وغيره على الناس به فيها فلا يكلف بذلك
وتخلف ابن عوف عن الفقراء في دخول الجنة الوارد انما لكونه يقف ليشفع او
لبيان سوال تكريم عما انعم به عليه او جبرا لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك
غير قادح في فضله رضي الله تعالى عنهم فقرا اي عالمين بل كلهم لان
ذوي الغنى منهم كان خزانا لله تعالى كما مر فلا يعدون من الاغنيا
الا باعتبار الصورة او باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار الى الله تعالى
ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا وانما يعدون انفسهم خزنة
لا غير وبما تقرر علم معنى غناهم وفقرهم بعلم ان الغني الشاكر افضل من الفقير
الصابر وهي مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته كما علمت ان الغني
هو الذي ختم به امره صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دايم الترقي في الكمال
فلولا ان الغني مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به صلى الله عليه وسلم
قيل ومحل الخلاف في الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضى فهو افضل
قطعا انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان في ابتدا امره مع فقره على
غاية من الرضى لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغني مع الشكر كما تقرر
وبفرض صحة هذا القول فغالب فقرا الصحابة يفضلون اغنياهم لانهم
راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنيا الفقرا التضاد وكذا بين الصحة والامراض وبين
الرخص والاغلا الاثبات هم علما ايمة لانهم ورثوا من علومه صلى الله